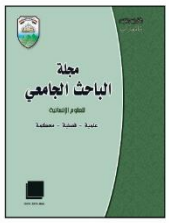

جامعة إب

مجلة الباحث الجامعي

ISSN: 2079-5068 ISSN (online): 2663-3930

منهج محمد رشيد رضا في التعامل مع روايات أسباب النزول المتعددة في تفسيره المنار دراسة تطبيقية

حازم محمد مسعد علايه

قسم علوم القرآن والدراسات الإسلامية، كلية العلوم التطبيقية والتربوية – النادرة، جامعة إب، اليمن

الكلمات المفتاحية:

السياق، أسباب النزول، محمد رشيد رضا،

الملخص:

تختلف مناهج المفسرين في تعاملهم مع روايات أسباب النزول إذا ورد أكثر من سبب في آية واحدة، وهذا البحث يهدف إلى بيان منهج محمد رشيد رضا في التعامل مع هذه الروايات في تفسيره المنار، وتكون هذا البحث من: مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة، جاء في التمهيد: ترجمة محمد رشيد رضا وتعريف المنهج، وفي المبحث الأول: مقدمات أسباب النزول من حيث: تعريفها، أهميتها، أقسامها، صيغها، وطرق معرفتها، وجاء في المبحث الثاني: بيان منهج محمد رشيد رضا في تعامله مع هذه الروايات المتعددة من حيث: قبول جميع الروايات، أو عدم الاعتداد بها، أو الجمع بينها، أو ترجيح إحداها على الأخرى، وخلص البحث إلى نتائج، من أهمها: جعل محمد رشيد رضا السياق القرآني أهم المرتكزات في تعامله مع روايات أسباب النزول، فقبل منها أو رجح بينها بما يوافق السياق. ولم يلتفت محمد رشيد رضا إلى صحة النقل وصيغ السببية في روايات أسباب النزول في كثير من الأحيان؛ وإنما وجه اهتمامه إلى مدى التوافق بين سبب النزول والسياق القرآني.

منهج محمد رشيد رضا في التعامل مع روايات أسباب النزول المتعددة في تفسيره المنار دراسة تطبيقية

Mohammed Rasheed Redha's Al-Manar Interpretation Approach to Various Revelation Occasions Accounts: An Applied Study

Hezam Mohammed Mosed Aolaeh

Department of Quran Sciences and Islamic Studies, Faculty of Applied and Educational Sciences – Al-nadrah , Ibb University, Yemen

Keywords:

Quranic context, revelation occasions, Mohammed Rasheed Redha,

Abstract:

Interpreters' approaches vary in dealing with revelation occasions accounts for there have been more than one occasion for the same verse. The present study aims to elucidate Mohammed Rasheed Redha's approach to such various accounts in his book Al-Manar Interpretation. The study consists of an introduction, two chapters, and a conclusion. The introductory part includes Mohammed Rasheed Redah's translation and his approach definition. The first chapter explains revelation occasions in terms of definition, significance, types, forms and ways of understanding. The second chapter elucidates Mohammed Rasheed Redha's approach in addressing the various accounts of revelation occasions in terms of approving all such accounts, disproving them, combining the likelihood of both approval and disapproval. The study revealed the important following findings: Mohammed Rasheed Redha focused on the Quranic context as an important factor in addressing revelation occasions accounts. He approved some such accounts based on context And Mohammed Rasheed Redha concentrated on the extent of agreement between revelation occasion and the Quranic context. He paid no attention to transmission authenticity and causality forms in revelation occasions accounts.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للخلائق أجمعين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد أنزل الله القرآن منهج حياة للبشرية، وهاديًا لها إلى الطريق الحق القويم، ومنظمًا لأحوالها وعلاقاتها المختلفة، واستمر نزوله منجمًا على مدى ثلاث وعشرين سنة؛ فمنه ما نزل ابتداءً من غير سبب، ومنه ما نزل على أسباب خاصة، مبينًا حكم حوادث وقعت، أو مجيبًا عن أسئلة وضعت بين يدي النبي عليه الصلاة والسلام، ولما كان فهم مثل هذه الآيات مرتبطًا بمعرفة تلك الحوادث التي نزل قرآن لأجلها؛ فقد أولاها العلماء بالاهتمام جمعًا ودراسةً وتصنيفًا؛ لتمييز صحيحها من ضعيفها، وللتفريق بين ما يعد من هذه الروايات أسبابًا للنزول، وبين ما هو من قبيل التفسير وبيان المعاني التي قيلت في تفسير هذه الآية أو تلك.

وهناك آيات في القرآن رُوي في سبب نزولها أكثر من رواية؛ منها الصحيح ومنها الضعيف، وحتى لا تُرد رواية صحيحة أو تقبل رواية ضعيفة؛ فقد وضع العلماء قاعدة للتعامل مع هذه الروايات المتعددة؛ لتكون منارًا يهتدي به المفسرون في التعامل مع مثل هذه الروايات.

وقد وقع اختيار الباحث على تفسير المنار ليكون مجالًا لبحثه المقدم للحصول على درجة الماجستير في موضوع السياق القرآني وأسباب النزول، وأثناء إعداد الرسالة تبلورت فكرة هذا البحث تحت عنوان:

منهج محمد رشيد رضا في التعامل مع روايات أسباب النزول المتعددة في تفسيره المنار (دراسة تطبيقية).

أهمية البحث:

1. مكانة أسباب النزول في تفسير القرآن، ودورها في توضيح كثير من معانيه وأحكامه، وأنه لا غنى للمفسر عن معرفتها.
2. عدم وجود دراسة مستقلة تناولت منهج محمد رشيد رضا في تعامله مع روايات أسباب النزول المتعددة الواردة في آية أو آيات معينة.
3. منزلة تفسير المنار بين التفاسير الحديثة؛ إذ أسس لما عرف بعدها بـ(مدرسة المنار في التفسير)، وهو ما أكسب هذا البحث أهمية انطلاقًا من أهمية محل دراسته.

أهداف البحث:

1. بيان منهج محمد رشيد رضا الذي سلكه في التعامل مع روايات أسباب النزول المتعددة.
2. بيان أهم المرتكزات التي اعتمد عليها محمد رشيد رضا في تعامله مع الروايات المتعددة، ومعيار قبولها أو الترجيح بينها.

منهجية البحث:

اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك استقراء عدد من المواضع في تفسير المنار التي أورد لها محمد رشيد رضا روايات متعددة في سبب نزولها، ثم جمع تلك المواضع وتحليلها؛ لمعرفة المنهج الذي سلكه

محمد رشيد رضا مع هذه الروايات، مع إيراد آراء بعض المفسرين فيها.

الدراسات السابقة:

توجد دراسات سابقة متعلقة بتفسير المنار وأهم دراستين وقعت عليهما يد الباحث:

1- **منهج تفسير المنار في التفسير، رسالة دكتوراه، الباحثة: هاجر محمد أحمد شبو، قسم الدراسات الإسلامية، كلية الدراسات العليا، جامعة الخرطوم، السودان، 2004م.**

فهذه الرسالة عنيت ببيان منهج تفسير المنار عمومًا من حيث تفسير الآيات بالقرآن ثم بالسنة ثم باللغة وغيرها، أما هذا البحث فتناول منهج محمد رشيد رضا في تعامله مع روايات أسباب النزول المتعددة، من حيث قبولها، أو الجمع بينها، أو ترجيح إحداها على غيرها.

2- **موقف تفسير المنار من روايات أسباب النزول والإسرائيليات، أحمد القضاة، أحد بحوث الندوة العلمية التي عقدت في جامعة آل البيت حول محمد رشيد رضا، الأردن، 1999م.**

تناول هذا البحث في جزء منه موقف تفسير المنار من روايات أسباب النزول محددًا في ذلك خمسة مبادئ: الحفاظ على تماسك السياق القرآني، تحديد الآيات التي يلتمس لها سبب نزول، ضرورة أن يكون سبب النزول مشارًا إليه في الآية أو ظاهرًا فيها، النظر في عموم النصوص القرآنية دون تقييدها بحوادث معينة، ورفض قضية تعدد الأسباب للآية الواحدة إذا كان الفاصل الزمني بينها طويلًا؛ وبهذا قدمت موقف تفسير المنار من أسباب النزول بشكل عام، وهي أشبه ما تكون ببيان شروط قبول أسباب النزول في تفسير المنار بشكل خاص، ومضمونها مختلف تمامًا عن هذا البحث، الذي سلط الضوء على طريقة محمد رشيد رضا في التعامل مع روايات أسباب النزول المتعددة من حيث قبول تلك الروايات، أو عدم الاعتداد بها واعتبار النص واضحًا بدونها، أو الجمع بين ما ظاهره التعارض منها، أو الترجيح بين تلك الروايات.

خطة البحث:

تم تقسيم البحث إلى تمهيد ومبحثين:

التمهيد:

يتضمن ترجمة مختصرة لمحمد رشيد رضا، والتعريف بتفسير المنار.

المبحث الأول: مصطلحات البحث ومقدمات أسباب النزول وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف المنهج وأسباب النزول.

المطلب الثاني: مقدمات أسباب النزول.

المبحث الثاني: منهج محمد رشيد رضا في أسباب النزول المتعددة وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: قبول جميع روايات أسباب النزول الواردة في الآية.

المطلب الثاني: عدم الاعتداد بروايات أسباب النزول اكتفاءً بالسياق.

المطلب الثالث: الجمع بين روايات أسباب النزول الواردة في الآية.

المطلب الرابع: الترجيح بين روايات أسباب النزول الواردة في الآية.

التمهيد: ترجمة مختصرة لمحمد رشيد رضا، وتفسيره المنار.

أولًا: ترجمة محمد رشيد رضا:

اسمه:

"محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب" [1]، وذكر محمد رشيد رضا أنه ينتمي إلى آل البيت، وأن نسبه ينتهي إلى الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما[2].

مولده:

"وُلد محمد رشيد رضا يوم 27/جمادى الأولى، 1282هـ- 1865م، في قرية القلمون على شاطئ البحر المتوسط، وهي قرية من أعمال طرابلس الشام"[3].

نشأته وتعليمه:

نشأ محمد رشيد رضا في قريته القلمون، وكان أهل بيته أهل علم وإرشاد ورياسة[4]، وكان والده -علي رضا- شيخًا للقلمون وإمامًا لمسجدها[5].

وقد لاحظ الكثير علامات الذكاء على محمد رشيد رضا منذ طفولته؛ فكانوا يحثون والده على الاهتمام بتعليمه، ويبشرونه بمستقبله، وما يرجون له من النجاح والنبوغ في العلم [6].

التحق محمد رشيد رضا بكُتّاب قريته القلمون؛ فتعلم قراءة القرآن والخط والحساب، ثم دخل بعد ذلك المدرسة الرشيدية الابتدائية في طرابلس الشام، ثم غادرها والتحق بالمدرسة الوطنية الإسلامية التي كان التعليم فيها باللغة العربية، وبعد إغلاقها انصرف لطلب العلم في المدراس الدينية بطرابلس، فأخذ عن مشايخه عددًا من العلوم الشرعية والعقلية، إضافة إلى عنايته بمطالعة الكتب على اختلاف مجالاتها[7].

وعقب إتمام محمد رشيد رضا تحصيله العلمي في طرابلس، منحه مشايخه شهادة العالمية(التدريس) بعد أن وجدوا فيه الأهلية لحمل هذه الشهادة، ونيل هذه الدرجة[8].

مشايخه وتلاميذه:

تتلمذ محمد رشيد رضا على يد عدد من المشايخ منهم:

1. الشيخ: حسين الجسر(ت1327هـ)، وأخذ عنه محمد رشيد رضا العلوم العربية والشرعية والعقلية[9].
2. 2-الشيخ: محمود نشابة (ت 1308هـ)، وتعلم منه محمد رشيد رضا الحديث وفقه الشافعية[10].
3. تأثر محمد رشيد رضا بجمال الدين الأفغاني (ت1315هـ) عن طريق جريدة العروة الوثقى التي كان يصدرها الأفغاني ومحمد عبده[11].
4. الشيخ: محمد عبده(ت1323هـ)، وهو السبب الذي كان وراء هجرة محمد رشيد رضا إلى مصر بغية الاستفادة منه، ولأخذ ما فاته عن الأفغاني عن طريق محمد عبده الذي يعتبر خليفة الأفغاني وصاحب دربه[12].

ومن تلاميذ محمد رشيد رضا:

1. عبد الظاهر أبو السمح (ت1370هـ)، إمام وخطيب بيت الله الحرام[13].
2. أمين الحسيني (ت1394هـ)، مفتي الديار القدسية[14].
3. يوسف ياسين (ت1381هـ)، رئيس الشعبة السياسية وسكرتير الملك عبد العزيز آل سعود[15].

جهوده الإصلاحية:

على مستوى الإصلاح السياسي وشؤون الحكم: انتقد محمد رشيد رضا الدولة العثمانية، وبيّن نقاط ضعفها، ونادى بإصلاح أوضاعها السيئة التي آلت إليها[16].

ونتيجة لدوره في محاربة الاستعمار، جعله الإنجليز في مصر تحت الرقابة الشديدة إلى نهاية الحرب العالمية الأولى[17].

"كما سافر إلى جنيف عام 1921م كعضو في المؤتمر السوري الفلسطيني الذي عُقد لأجل الاحتجاج على احتلال فرنسا لسوريا، واحتلال إنجلترا لفلسطين"[18].

وعلى مستوى الإصلاح الاجتماعي: عالج محمد رشيد رضا في عدد من مؤلفاته وفي مجلته المنار عددًا من القضايا الاجتماعية، ونادى بالإصلاح الاجتماعي الذي يعني في نظره: إحداث انقلاب عام في المجتمع، بهدف نقله إلى طور أكثر تقدمًا في الحياة المادية والمعنوية[19].

كما حذر من تقليد الغرب، وكان وسطًا بين فريق الجامدين المعرضين عن العلم الحديث، وبين فريق المقلدين الذين كانوا عاملًا في زعزعة عقائد الأمة وأفكارها وأخلاقها[20]، إذ لا مانع من الاقتباس من الأمم المتقدمة بمقدار ما نحتاج إليه لتكون أُمتنا قوية، متمسكة بما يميزها من الآداب والشرائع والعادات [21].

ونادى بالبعد عن مظاهر الترف التي شجعها الغرب كالخمر والميسر والربا بهدف الفتك بالمجتمع في دينه وأخلاقه، فضلًا عن نهب ثرواته واستنزافها [22].

وعلى صعيد المرأة: دعا إلى تعليمها وتربيتها على آداب ديننا وفضائله، محذرًا في ذات الوقت من تقليد الغرب في تربية النساء؛ لأن ذلك هدم لشخصيتنا الإسلامية، ولن يوصلنا هذا التقليد إلى ما وصل إليه الغرب من التقدم[23].

وأما على صعيد الإصلاح التعليمي: فقد كان التعليم يعيش حالًا سيئة، سواءً التعليم العام الذي كان بإشراف النفوذ الاستعماري، أو التعليم الأزهري الذي كان غارقًا في الجمود[24]، وكان له دور في تعليم الناس مبكرًا منذ أن كان في قريته القلمون، فكان يلقي دروسًا للرجال والنساء كلًا على حدة في الفقه والعقيدة وأحكام الطهارة وغيرها[25]، كما نادى بإصلاح أوضاع التعليم العام، وإعادة النظر في مناهجه وخططه، وأسس (دار الدعوة والإرشاد) عام1330هـ-1912م بوصفها مدرسة تهدف إلى تخريج الدعاة المتمكنين، الجامعين بين العلوم الدينية والعصرية؛ لتتمكن أُمتنا من التقدم والرقي [26].

وعلى مستوى التعليم الأزهري سخّر محمد رشيد رضا حيزًا من مجلته المنار للدعوة إلى

إصلاح الأزهر، وتجديد التعليم فيه، وقدم رؤيته للارتقاء بالأزهر وإصلاح منظومته لخدمة الإسلام والمسلمين، ملخصًا ذلك في كتاب مستقل سماه: (المنار والأزهر) [27].

تراثه:

خلف محمد رشيد رضا تراثًا حافلًا من المؤلفات في كثير من ميادين العلم، كالعقيدة والتفسير والأخلاق، والتاريخ والسياسية، والإصلاح الاجتماعي، ومما طبع منها على سبيل المثال[28]:

1. تفسير المنار.
2. مجلة المنار.
3. المنار والأزهر.
4. الوحي المحمدي.
5. حقيقة الإيمان والإسلام.
6. كليات الدين.
7. المسلمون والقبط.
8. مناسك الحج.

ومن الكتب التي ذكر محمد رشيد رضا أنها لم تطبع وما زالت مخطوطة عنده[29]:

1. المقصورة الرشيدية.
2. الحكمة الشرعية في محاكمة القادرية والرفاعية.

ومن الكتب التي لم تطبع وأشار إليها من ترجم لمحمد رشيد رضا[30]:

1. رسالة في حجة الإسلام الغزالي.
2. رسالة في التوحيد على طريقة السؤال والجواب.

وفاته:

"توفي محمد رشيد رضا بعد ظهر الخميس 23جمادى الأولى1354هـ/22أغسطس 1935م، ودفن في القاهرة، بجوار ضريح شيخه محمد عبده"[31]، رحم الله محمد رشيد رضا وغفر له ولكافة علماء المسلمين.

ثانيًا: تفسير المنار: التعريف والمنهج:

التعريف بتفسير المنار:

اشتهر هذا التفسير بـ(تفسير المنار)، واسمه الذي سماه به مؤلفه هو (تفسير القرآن الحكيم) يقول محمد رشيد رضا في مقدمة هذا التفسير:

" فاتحة تفسير القرآن الحكيم"[32]، وإنما اشتهر بـ(تفسير المنار)، لأنه نُشر في بداية الأمر على صفحات مجلة المنار قبل طباعته في كتاب مستقل[33].

"ولم يشمل هذا التفسير جميع القرآن، بل ابتدأ بأول بالفاتحة وانتهى بسورة يوسف عند قوله تعالى: ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴾[يوسف:101]، وقد أكمل الأستاذ بهجت البيطار تفسير سورة يوسف، وطُبع في كتاب مستقل يحمل اسم الشيخ محمد رشيد رضا".[34]

منهج محمد رشيد رضا في تفسيره المنار:

"إن منهج محمد رشيد رضا في التفسير هو عَيْن ما نهجه شيخه محمد عبده، فلا تقيد بأقوال المفسِّرين، ولا تحكُّم للعقيدة في نص القرآن، ولا خوض في إسرائيليات، ولا تعيين لمبهمات، ولا تعلق بأحاديث موضوعة، ولا حشد لمباحث الفنون، ولا رجوع بالنص إلى اصطلاحات العلوم،

بل شرح للآيات بأسلوب رائع، وكشف عن المعاني بعبارة سهلة مقبولة، وتوضيح لمشكلات القرآن، ودفاع عنه يَرُد ما أُثير حوله من شبهات، وبيان لهدايته، ودلالة إلى عظيم إرشاده، وتوقيف على حكم تشريعه، ومعالجة لأمراض المجتمع بناجع دوائه، وبيان لسنن الله في خليقته"[35].

وإذا كان محمد رشيد رضا قد سار في التفسير على ذات المنهج الذي سار عليه أستاذه زمن حياته، فإنه قد خالف هذا المنهج بعد وفاة شيخه في بعض الأمور التي ذكرها بقوله: "هذا وإنني لما استقللت بالعمل بعد وفاته خالفت منهجه – رحمه الله تعالى –:

1. بالتوسع فيما يتعلق بالآية من السنة الصحيحة، سواءً كان تفسيرًا لها أم في حكمها.
2. وفي تحقيق بعض المفردات أو الجمل اللغوية والمسائل الخلافية بين العلماء.
3. وفي الإكثار من شواهد الآيات في السور المختلفة.
4. وفي بعض الاستطرادات لتحقيق مسائل تشتد حاجة المسلمين إلى تحقيقها، بما يثبتهم بهداية دينهم في هذا العصر، أو يقوي حجتهم على خصومه من الكفار والمبتدعة، أو يحل بعض المشكلات التي أعيا حلها بما يطمئن به القلب وتسكن إليه النفس"[36].

"ولعل مخالفة شيخه في هذه الأمور كان بسبب

كونه رجلًا صحفيًا اتصل عن طريق مجلته بالناس على اختلاف منازعهم ومشاربهم، وفيهم المتدين، والملحد والكافر، فأراد أن يتماشى بكتاباته مع الجميع، فيثبت المتدين على دينه، ويرد الملحد عن إلحاده، ويكشف عن محاسن الإسلام، لعل الكافر أن يثوب عن كفره"[37].

المبحث الأول: مصطلحات البحث ومقدمات أسباب النزول:

المطلب الأول: مصطلحات البحث.

أولًا: تعريف المنهج.

المنهج لغة: "النون والهاء والجيم أصلان متباينان: الأول: النهج أي الطريق، ومنه قوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[المائدة: ٤٨]، –أي: لكل قوم منكم جعلنا طريقًا إلى الحق يؤمُّه، وسبيلًا واضحًا يعمل به–[38]، والأصل الآخر: الانقطاع، ويقال: أتانا فلان ينهج، إذا أتى مبهورًا منقطع النفس"[39]، "والنهيج: الربو، وتواتر النفس من شدة الحركة"[40].

"ونهج الأمر وأنهج– لغتان– أي: وضح، ومنهج الطريق: وَضَحُه، والمنهاج: الطريق الواضح"[41].

"وأنهج الثوب: إذا أخلقه، وأنهج الدابة: سار عليها حتى انبهرت، وأنهج الطريق: سلكه، ونهج فلان سبيل فلان: سلك مسلكه"[42]، "والجمع نهوج ونهاج ومناهج"[43].

وفي المعجم الوسيط: "انتهج الطريق: استبانه وسلكه، وطريق ناهج: واضح، والمنهاج: الطريق الواضح، والخطة المرسومة، ومنه منهاج الدراسة ومنهاج التعليم ونحوهما"[44].

اصطلاحًا:

المنهج: "الطريق المنهوج، أي المسلوك"[45].

والمنهاج: "الطريق الواضح السهل، والسنن والطرائق"[46].

والنهج: "الوجه الواضح الذي جرى عليه الاستعمال"[47].

ثانيًا: تعريف أسباب النزول.

تعريف السبب:

لغة: "الحبل، والسبب: كل ما تسببت به من رحم أو يد أو دين، والسبب: الطريق لأنك تصل به إلى ما تريد"[48]، " وكل شيء يتوصل به إلى الشيء فهو سبب، والجمع أسباب"[49].

اصطلاحًا: "كل شيء وصلت به إلى موضع أو حاجة تريدها"[50].

تعريف النزول:

لغة: "النون والزاء واللام كلمة صحيحة تدل على هبوط شيء ووقوعه، ونزل عن دابته نزولًا، ونزل المطر من السماء نزولًا"[51]، "والنزول: الحلول، يقال: نزلهم، ونزل بهم، ونزل عليهم، ينزل نزولًا ومنزلًا: حلَّ"[52].

اصطلاحًا: "النزول: هو انحطاط من علو"[53]، "والإنزال: نقل الشيء من أعلى إلى أسفل" [54].

تعريف أسباب النزول باعتباره لقب على علم معين:

سبب النزول: "هو ما نزلت الآية أيام وقوعه"[55]، وقيل: "هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه، أو مبينة لحكمه أيام وقوعه؛ والمعنى: أنه حادثة وقعت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، أو سؤال وُجه إليه، فنزلت الآية أو الآيات من الله تعالى ببيان ما يتصل بتلك الحادثة، أو بجواب هذا السؤال"[56].

ومن هنا فالمراد بمنهج محمد رشيد رضا في أسباب النزول المتعددة: طريقته التي سلكها وسار عليها في التعامل مع روايات أسباب النزول المتعددة الواردة في آية واحدة أو أكثر من خلال تفسيره.

وهناك من يرى ضرورة التفريق بين منهج المفسر وطريقة المفسر:

"فمنهج المفسر: هو الخطة المرسومة المحددة الدقيقة التي تتمثل في قواعد التفسير والأسس والمنطلقات التي تعرف عليها المفسر، والتي انطلق منها في فهمه للقرآن الكريم والتي التزم بها في تفسيره، هذه القواعد والأسس كانت ضوابط له ولتفسيره، حكمته وهو يتعامل مع كتاب الله ويفهمه ويفسره، فلم يخالفها، ولم يخرج عنها.

وطريقة المفسر: هي الأسلوب الذي سلكه المفسر أثناء تفسيره لكتاب الله، والطريق التي عرض تفسير كتاب الله من خلالها.

وبمعنى آخر الطريقة: هي تطبيق المفسر للقواعد والأسس المنهجية التي كانت منهجه في فهم القرآن"[57].

وقد سار هذا البحث على الأصل اللغوي باعتبار المنهج هو الطريقة المسلوكة في شيء ما.

المطلب الثاني: مقدمات أسباب النزول.

أولًا: أهمية أسباب النزول وطرق معرفتها.

أهمية أسباب النزول:

تحتل أسباب النزول أهمية كبيرة في التفسير، ولا غنى للمفسر عن الاستعانة بها في كشف معاني الآيات التي نزلت على سبب معين.

فالواحدي أدرك هذه الأهمية؛ فقال: "إذ هي- أسباب النزول- أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية وقصد سبيلها، دون الوقوف على قصتها وبيان نزولها"[58].

وابن دقيق العيد يقول: "وبيان سبب النزول: طريق قوي في فهم معاني الكتاب العزيز، وهو أمر يحصل للصحابة بقرائن تحف بالقضايا"[59].

ونتيجة لأهمية أسباب النزول في فهم القرآن فقد أولاها العلماء عناية فائقة قديمًا وحديثًا، وهذه العناية تتجلى في ثلاث صور[60]:

"الأولى: أنهم أفردوا أسباب النزول بباب مستقل من أبواب علوم القرآن الكريم في مؤلفاتهم.

الثانية: أن المفسرين يوردون أول ما يوردون في تفسير الآية سبب نزولها، ويعتنون بذلك ويستندون إليه في تفسير الآية.

الثالثة: أن العلماء أفردوا أسباب النزول بمؤلفات مستقلة، وهي مؤلفات كثيرة، منها: أسباب النزول للواحدي، وأسباب نزول القرآن لابن الجوزي، والعجاب في بيان الأسباب لابن حجر، ولباب النقول في أسباب النزول للسيوطي، وغيرها".

طرق معرفة أسباب النزول:

أسباب النزول عبارة عن حوادث وقعت، أو أسئلة قدمت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فنزل قرآن بشأنها، وعليه فلا طريق لمعرفتها إلا الرواية عن من شاهد هذه الوقائع أو حضر تلك التساؤلات.

يقول الواحدي: "ولا يحل القول في أسباب نزول الكتاب إلا بالرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل، ووقفوا على الأسباب"[61].

"فأسباب النزول شرطها النقل الصحيح عن من شهدها وحضرها، ولا سبيل للقول فيها بمجرد الاجتهاد، بل لا يجوز؛ لأنه من قبيل القول في القرآن بغير علم"[62]، والله عز وجل يقول: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ﴾[الإسراء: 36].

وهذه الأسباب المنقولة إلينا إما أن تكون: من رواية صحابي، أو من رواية تابعي[63]:

- **أما رواية الصحابي**[64] في أسباب النزول: فإن كانت صحيحة النقل وبعبارة جازمة كقوله مثلًا: "حدث كذا فنزل كذا"، فهذا يُعد بحكم الحديث المرفوع[65]، وإن كانت صحيحة النقل لكن عبارته كانت غير صريحة فيقول: "نزلت الآية في كذا، أو أحسب أنها نزلت في كذا"، فهذا يحتمل أنه من أسباب النزول، ويحتمل أنه من قبيل تفسير الآية وما يدخل في حكمها.
- **وأما رواية التابعي**[66] في أسباب النزول: فهي مرسلة[67] ولا تقبل إلا بشروط: أن تكون عبارته صريحة في السببية، وأن يكون الإسناد صحيحًا، وأن يكون التابعي من أئمة التفسير

الذين أخذوه عن الصحابة، وأن يعتضد برواية تابعي آخر تتوافر فيه الشروط نفسها.

ثانيًا: أقسام أسباب النزول وصيغها.

أقسام أسباب النزول:

القرآن الكريم من حيث نزوله ينقسم إلى قسمين:

"قسم نزل من الله ابتداءً غير مرتبط بسبب، وقسم نزل مرتبطًا بسبب من الأسباب الخاصة، وهذا القسم المرتبط بأسباب خاصة هو محل عناية العلماء والدارسين قديمًا وحديثًا"[68].

وأسباب النزول تنقسم إلى قسمين[69]: حادثة أو سؤال.

فالأول: أن تحدث حادثة معينة فينزل القرآن لأجلها، وهذه الحادثة قد تكون من الرسول عليه الصلاة والسلام كما حدث في سورة عبس، وقصة ابن أم مكتوم[70].

وقد تكون هذه الحادثة من جماعة أو فرد من الصحابة رضوان الله عليهم، وقد تكون من المشركين، أو اليهود، أو المنافقين، مثل ما حدث لجماعة من الصحابة رضوان الله عليهم كما رواه جابر بن عبد الله قال: "بينما نحن نصلي مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبلت عير تحمل طعامًا، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي صلى الله عليه وسلم إلا اثنا عشر رجلا، فنزلت ﴿ وَإِذَا رَأَوْا۟ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ﴾ [الجمعة:11]"[71].

ومثل حادثة أبي لهب فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: "قال أبو لهب عليه لعنة الله للنبي صلى الله عليه وسلم: تبًا لك سائر اليوم، فنزلت: ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ ﴾ [المسد: ١]"[72].

الثاني: أن يُسأل الرسول عليه الصلاة والسلام سؤالًا؛ فينزل القرآن مجيبًا عنه، كقوله تعالى:

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ﴾[الكهف: 83].

صيغ أسباب النزول:

قسم العلماء صيغ أسباب النزول إلى قسمين[73]: صريحة، ومحتملة، وبيانها كما يأتي:

أولًا: أن تكون الصيغة نصًا صريحًا في السببية، وهذه الصيغة لها صورتان:

1. أن يقول الراوي: سبب نزول هذه الآية كذا.
2. أن يأتي الراوي بفاء التعقيبية الداخلة على مادة النزول بعد ذكر الحادثة أو السؤال، كقوله: حدث كذا، أو سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كذا فنزلت الآية.

ثانيًا: أن تكون الصيغة نصًا محتملًا في السببية، بمعنى تحتمل أن تكون سببًا للنزول، وتحتمل أن تكون تفسيرًا وبيانًا لما ورد من معاني وأحكام في الآية ومن صور هذه الصيغة:

1. قول الراوي: نزلت هذه الآية في كذا.
2. قول الراوي: أحسب هذه الآية نزلت في كذا.
3. قول الراوي: ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في كذا.

قال ابن تيمية: "وقولهم نزلت هذه الآية في كذا

يراد به تارة أنه سبب النزول، ويراد به تارة أن ذلك داخل في الآية وإن لم يكن السبب كما تقول عنى بهذه الآية كذا"[74]، مثل ما جاء في الصحيح

عن عروة بن الزبير: "أن الزبير خاصم رجلًا من الأنصار إلى الرسول عليه الصلاة والسلام في شراج من الحرة، كانا يسقيان به كلاهما،... حيث جاء في نهاية الحديث قال الزبير: "والله ما أحسب هذه الآية نزلت إلا في ذلك" قوله تعالى:﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ﴾ [النساء: 65]"[75].

المبحث الثاني: منهج محمد رشيد رضا في التعامل مع روايات أسباب النزول المتعددة.

قد تنزل الآية أو الآيات ويكون لها سبب نزول واحد، وبالمقابل قد تنزل تلك الآيات عقب سببين أو أكثر، وهو أمر لا إشكال فيه عند العلماء[76].

وقد وضع العلماء قاعدة للتعامل مع هذه الروايات لأجل تمحيصها، ومعرفة ما يعد من أسباب النزول وما يعد من قبيل التفسير.

ونص هذه القاعدة يقول: "إذا تعددت الروايات نظر إلى الثبوت فاقتُصر على الصحيح، ثم العبارة فاقتُصر على الصريح، فإن تقارب الزمان حمل على الجميع، وإن تباعد حكم بتكرار النزول أو الترجيح"[77].

ومن خلال هذا المبحث سيتبين مدى توظيف هذه القاعدة من جهة محمد رشيد رضا في تعامله مع روايات أسباب النزول المتعددة، ويمكن تقسيم منهجه إلى أربعة مطالب:

الأول: قبول جميع روايات أسباب النزول الواردة في الآية.

الثاني: عدم الاعتداد بروايات أسباب النزول اكتفاءً بالسياق.

الثالث: الجمع بين روايات أسباب النزول الواردة في الآية.

الرابع: الترجيح بين روايات أسباب النزول الواردة في الآية.

المطلب الأول: قبول جميع روايات أسباب النزول الواردة في الآية.

يقصد بذلك أن محمد رشيد رضا يذكر روايات أسباب النزول الواردة في الآية، ثم يتبعها بأن الآية تشمل جميع تلك الروايات، ومن جهة أخرى قد يذكرها دون بيان لما هو المعتمد منها كسبب للنزول، وما هو من قبيل التفسير أو مما يدخل في حكم الآية، فيوردها جميعًا في معرض الاستشهاد على معاني الآية.

التطبيق:

قال تعالى:﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ﴾ [النور: 3].

ذكر محمد رشيد رضا في معرض حديثه عن أحكام نكاح المشركات والكتابيات سببي نزول لهذه الآية هما:

الأول: ما جاء في المستدرك عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده: أن مرثد بن أبي مرثد الغنوي رضي الله عنه، كان يحمل الأسارى بمكة، وكان بمكة بغي يقال لها عناق، وكانت صديقته، قال: فجئت إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقلت: يا رسول الله، أنكح عناق؟ قال: فسكت عني، فنزلت: ﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَٱلزَّانِيَةُ لَا

﴿يَنكِحُهَآ إِلَّا زَانٍ أَوۡ مُشۡرِكٞۚ﴾[النور: 3]، فقرأ عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "لا تنكحها"[78].

الثاني: ما رواه عبد الله بن عمرو، قال: "كانت امرأة يقال لها أم مهزول، وكانت بجياد[79] وكانت تسافح، فأراد رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم أن يتزوجها، فأنزل الله:﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةً ﴾[النور: 3]"[80].

قال محمد رشيد رضا بعد ذكره لهاتين الروايتين:

"ونكاح البغايا كان فاشيًا، والمشهورات منهن في الجاهلية كثيرات، وقد نزلت الآية في الجميع"[81].

وابن جرير ذكر هذين السببين وغيرهما، ثم قال: "وأولى الأقوال عندي قول من قال: عنى بالنكاح في هذا الموضع الوطء، وأن الآية نزلت في البغايا المشركات ذوات الرايات"[82].

وذهب ابن عاشور إلى أن هذه الآية نزلت جوابًا عن سؤال مرثد بن أبي مرثد هل يتزوج عناق، ولعل أم مهزول كنية عناق ولعل القصة واحدة، وأن حكمها عام لمرثد وغيره من المسلمين بحق عموم لفظ المؤمنين[83].

ولم يقف الباحث على ترجمة للمرأتين- أم مهزول وعناق- لمعرفة ما إذا كان أحدهما اسمًا والآخر كنية للمرأة نفسها، أم هما اسمان لامرأتين مختلفتين.

وما وجده الباحث في كتب التفسير: أن ابن جرير عدّ من البغايا ذوات الرايات تسعًا منهن: أمّ مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي[84]، ولم يذكر عناقًا من هؤلاء التسع.

وأما ابن عطية فقال عند تفسير هذه الآية: "فيزعم أهل هذا التأويل أن نكاح أولئك البغايا حرمه الله على أمة محمد عليه السلام، ومن أشهرهن عناق البغي، وذُكر أن الطبري قد عدّ منهن تسعًا منهن أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي، ويقال فيها أم مهزم"[85]. وهذا يدل على الاختلاف في كنية أم مهزول ولم يذكر ابن عطية أنه قيل في تسميتها عناق.

ويذهب ابن القيم إلى اختلاف المرأتين واختلاف السائل؛ فيقول في حديثه عن أحكام النكاح: "وسأله – صلى الله عليه وسلم – مرثد الغنوي فقال: يا رسول الله أنكح عناقًا؟، وكانت بغيًا بمكة، فسكت عنه، فنزلت الآية:﴿ ٱلزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوۡ مُشۡرِكَةً ﴾ [النور: 3]، وقال: "لا تنكحها"؛ وسأله – صلى الله عليه وسلم – رجل آخر عن نكاح امرأة يقال لها أم مهزول كانت تسافح، فقرأ عليه رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الآية"[86]، وحكاية ابن القيم للخبرين يدل على اختلاف المرأتين.

من هنا نجد أن ما ذكره ابن عاشور في احتمال كون أم مهزول قد تكون كنية لعناق فإنه يبقى مجرد احتمال، ولم يصرح أحد بذلك.

ولأن الروايتين وردتا بنقل صحيح وبصيغة صريحة، والآية محتملة للروايتين فلا مانع من جعل الروايتين سببًا لنزول الآية، فتكون الآية نازلة في السببين معًا، والله أعلم.

قال ابن القيم: "فإن هذه الصورة المعينة- قصة مرثد- وإن كانت سبب النزول، فالقرآن لا يقتصر به على محالّ أسبابه، ولو كان كذلك لبطل الاستدلال به على غيرها"[87].

فمحمد رشيد رضا قَبِل روايات أسباب النزول، وجعل الآية في الجميع، في من ذكر في أسباب النزول وغيرهن من البغايا.

ومثله أيضًا:

ما جاء في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ ﴾ [آل عمران: 77].

ذكر محمد رشيد رضا ثلاثة أسباب لنزول هذه الآية:

الأول: ما جاء في الصحيح عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من حلف على يمين وهو فيها فاجر، ليقتطع بها مال امرئ مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان"، قال: فقال الأشعث بن قيس: فيَّ والله كان ذلك، كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجحدني، فقدمته إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ألك بينة"؟، قال: قلت: لا، قال: فقال لليهودي: "احلف"، قال: قلت: يا رسول الله، إذًا يحلف ويذهب بمالي، قال: فأنزل الله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا ﴾[آل عمران: 77]"[88].

الثاني: ما جاء في الصحيح أيضًا عن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: "أن رجلا أقام سلعة في السوق، فحلف فيها لقد أعطى بها ما لم يعطه، ليوقع فيها رجلا من المسلمين، فنزلت: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا ﴾ [آل عمران: 77][89].

الثالث: ما رواه ابن جرير بسنده عن عكرمة- مولى ابن عباس مرسلًا- قال: "نزلت ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا ﴾ [آل عمران: 77] في أبي رافع، وكنانة بن أبي الحقيق، وكعب بن الأشرف، وحُييّ بن أخطب"[90].

قال ابن حجر بعد ذكر الرواية القائلة بأنها نزلت في نفر من اليهود: "وهي محتملة أيضًا لكن المعتمد في ذلك -أي في السببية- ما ثبت في الصحيح "[91]، وبعد ذكر قول ابن حجر قال محمد رشيد رضا: "ويحتمل أن الآية كانت تذكر عند ذكر تلك الوقائع فيظن من لم يكن سمعها أنها نزلت فيها، وهي على كل حال متصلة بما قبلها متممة له"[92]، وما قبلها متحدث عن أهل الكتاب من قوله تعالى: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾[آل عمران: 64]، إلى قوله: ﴿ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ ﴾[آل عمران: 75].

يلاحظ أن محمد رشيد رضا أورد هذه الروايات ولم يرجح بينها كما فعل ابن حجر، ولم يلتفت إلى مدى صحتها وصراحتها في السببية، ولأن السببين الأوليين في الصحيح وبصيغة صريحة؛ بل قَبِل الجميع مع ضعف رواية ابن جرير، مع إضافته لاحتمال آخر وهو أن تلك الروايات قد تكون من قبيل التفسير ومما ينطبق عليه سياق الآية، التي جاءت بعد الحديث عن

أهل الكتاب، والرواية الصحيحة الأولى تحكي قصة اليهودي الذي أمره الرسول عليه الصلاة والسلام أن يحلف حين اختلف مع المسلم، ولكن محمد رشيد رضا لم يصرح باعتماد إحدى هذه الروايات كسبب للنزول.

أما أن الروايتين الأوليين في الصحيح وكل رواية ذكرت قصة مختلفةً، فلا منافاة في ذلك، فهو محمول على أن النزول كان بالسببين معًا، ولفظ الآية أعم من ذلك [93].

المطلب الثاني: عدم الاعتداد بروايات أسباب النزول اكتفاءً بالسياق.

يقصد بعدم الاعتداد بأسباب النزول: أن محمد رشيد رضا قد يذكر ما ورد من أسباب في الآية أو الآيات لكنه يعقبها بالقول: إن هذه الأسباب لا يتوقف عليها فهم النص، وسواءً جاءت الروايات بنقل صحيح أو غير صحيح فليست مما يتوقف عليه فهم الآية[94]؛ فالسياق بمعناه قد يغني عن معرفة سبب النزول، ومن جهة أخرى قد يرد سبب النزول ولا يعتمده إذا دلَّ على معنىً مخالف للسياق من وجهة نظره.

التطبيق:

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾[آل عمران: 169].

ذكر محمد رشيد رضا سببين لنزول هذه الآية:

الأول: ما رواه ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لما أصيب إخوانكم بأُحُد جعل الله أرواحهم في جوف طيرٍ خضرٍ، تَرِد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم، ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إخواننا عنّا، أنّا أحياء في الجنة نُرزق لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا ينكلوا عند الحرب، فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم"، قال: فأنزل الله: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ﴾[آل عمران: 169]"[95].

الثاني: ما رواه جابر بن عبد الله، يقول: "لقيني رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال لي: "يا جابر ما لي أراك منكسرا"؟ قلت: يا رسول الله استشهد أبي، وترك عيالًا ودينًا، قال: "أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك"؟ قلت: بلى يا رسول الله، قال: "ما كلم الله أحدًا قط إلا من وراء حجاب، وأحيا أباك فكلمه كفاحًا، فقال: يا عبدي تمنَّ عليَّ أُعطك، قال:

يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب عز وجل: "إنه قد سبق منِّي أنهم إليها لا يرجعون" قال: وأنزلت هذه الآية: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ﴾[آل عمران: 169]"[96].

يقول محمد رشيد رضا مبينًا أن هذه الآية جاءت في سياق واحد مترابط: "إن الله عز وجل بين في الآيات السابقة حال المنافقين الذين قعدوا عن القتال وثبطوا إخوانهم قبل القتال وبعده، وأنهم قالوا فيمن قتل: أنهم لو أطاعوهم ولم يخرجوا للقتال لما قتلوا، فبين الله أَفَنَهم[97] وفساد قولهم ببيان حال من يقتل في سبيل الله، وأنه ليس الأمر كما يظن هؤلاء المنافقون فقال: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ﴾[آل عمران: 169]"[98].

ثم قال بعد ذكر الروايتين: "قالوا –المفسرون–:

ولا تنافي بين الروايتين لجواز وقوع الأمرين ونزول الآية فيهما معا، وأقول: إن الآية متصلة بما قبلها متممة له، فإذا صح الخبران فهما من جملة وقائع غزوة أُحُد التي نزل فيها هذا السياق كله"[99].

قال القرطبي بعد ذكر ما جاء في أسباب نزول هذه الآية: "وبالجملة وإن كان يحتمل أن يكون النزول بسبب المجموع، فقد أخبر الله تعالى فيها عن الشهداء أنهم أحياء في الجنة يرزقون"[100].

وقال الشوكاني: "وقد روي من وجوه كثيرة: أن سبب نزول الآية قتلى أُحُد، وروي أن سبب نزول هذه الآية قتلى بئر معونة، وعلى كل حال فالآية باعتبار عموم لفظها يدخل تحتها كل شهيد"[101].

وهكذا يرى المفسرون أن الآية واردة على سبب، ولا يمنع كثرة الروايات أن تكون الآية محمولة على كل ما صح فيها، بينما محمد رشيد رضا كما سبق يرى أن الآية واردة في سياق الحديث عن غزوة أحد، ولم يلتفت إلى مدى صحة هاتين الروايتين في النقل، ولم يعتمد عليهما في بيان معنى الآية، ولا يراهما سببًا لنزول هذه الآية بعينها، بل هما من جملة الحوادث التي وقعت في غزوة أحد– في حال صحتهما كما يقول– فجاء السياق كاملًا للحديث عن وقائع هذه الغزوة وللرد على المثبطين الذين قعدوا عن القتال، لا أن هذه الآية نزلت لسبب معين.

لكن الروايتين: الأولى منهما صحيحة وبصيغة صريحة (فأنزل الله) فهي سبب لنزول الآية، والثانية منهما حسنة وبصيغة محتملة(وأنزلت)؛ فهي مما يدخل في معنى الآية وحكمها، والله أعلم.

ومثله أيضًا:

قوله تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾[البقرة: 143].

يرى محمد رشيد رضا أن الإيمان هنا مستعمل بمعناه الحقيقي، وأشار إلى أن هناك من قال: إن الإيمان هنا يراد به الصلاة، مستدلين بروايات أسباب النزول؛ فقال: "أكثر المفسرين ومنهم (الجلال)على أن المراد بالإيمان هنا الصلاة؛ إذ ورد أن بعض المؤمنين أحبوا أن يعرفوا حال صلاتهم قبل التحويل، أو صلاة من مات ولم يصلِ إلى الكعبة..."[102].

ونص السببين اللذين أشار إليهما محمد رشيد رضا كما يلي:

الأول: ما جاء في الصحيح عن البراء بن عازب: "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده، أو قال أخواله من الأنصار، وأنه صلى قِبَل بيت المقدس ستة عشر شهرًا، أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم فخرج رجل ممن صلى معه، فمر على أهل مسجد وهم راكعون،

فقال: أشهد بالله لقد صليت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قِبَل مكة، فداروا كما هم قِبَل البيت، وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قِبَل بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلما ولّى وجهه قِبَل البيت، أنكروا ذلك، قال زهير: حدثنا أبو إسحاق، عن البراء في حديثه هذا: أنه مات على القبلة قبل أن تحول رجال وقتلوا، فلم ندرِ ما نقول فيهم،

فأنزل الله:﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ ﴾[البقرة: 143]"[103].

الثاني: ما رواه ابن جرير عن الربيع قال: "قال ناسٌ -لمّا صرفت القبلة إلى البيت الحرام-: كيف بأعمالنا التي كنا نعملُ في قبلتنا الأولى؟ فأنزل الله:﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ ﴾[البقرة: 143]"[104].

قال محمد رشيد رضا في معنى الآية: "أقول: أي وما كان من شأن الله في حكمته ورحمته أن يضيع إيمانكم الباعث لكم على اتباع الرسول في الصلاة والقبلة، فلو كان نسخ القبلة مما يضيع الإيمان بنقضه أو نقصه، أو فوت ثواب ما كان قبله لما نسخها"[105].

وقد أيد محمد رشيد رضا ما ذهب إليه أستاذه محمد عبده في هذا الأمر فقال: "وقال الأستاذ الإمام: إن سياق الآية بل الآيات يدل على أن الإيمان هنا مستعمل في معناه، فإنه لما بيّن أمر الفتنة في تحويل القبلة، وبين أن من الناس من ينقلب إلى الكفر ويترك الإيمان، ومنهم من يثبت على إيمانه، فقد بشر هؤلاء المؤمنين المتبعين بأنهم يجزون على إيمانهم الجزاء الأوفى، فلا يضيع الله أجرهم، ولا يلتهم من ثباتهم على اتباع الرسول شيئا، وهذا الذي قاله الإمام ظاهر لكل من يفهم هذا السياق العجيب"[106].

من هنا يظهر أن محمد رشيد رضا لم يعتمد على أسباب النزول لبيان المراد بالإيمان في هذا السياق، مع صحة السبب الأول وصراحته في السببية؛ بل اعتبر الإيمان مستعملاً بمعناه الحقيقي وهو ما ذهب إليه أستاذه أيضًا، وهذا خلاف ما ذهب إليه غيرهما من المفسرين.

فهذا ابن كثير استدل بأسباب النزول على معنى الإيمان فقال: "وقوله: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمۡۚ ﴾[البقرة: 143] أي صلاتكم إلى بيت المقدس قبل ذلك، ما كان يضيع ثوابها عند الله"[107].

وقال البغوي بعد ذكر أسباب النزول: "وما كان الله ليضيع إيمانكم، يعني: صلاتكم إلى بيت المقدس"[108].

وقال ابن عطية في سبب تسمية الصلاة إيمانًا: "وسمى الصلاة إيمانا لمّا كانت صادرة عن الإيمان والتصديق في وقت بيت المقدس وفي وقت التحويل، ولما كان الإيمان قطبًا عليه تدور الأعمال وكان ثابتًا في حال التوجه هنا وهنا ذكره، إذ هو الأصل الذي به يرجع في الصلاة وغيرها إلى الأمر والنهي، ولئلا تندرج في اسم الصلاة صلاة المنافقين إلى بيت المقدس، فذكر المعنى الذي هو ملاك الأمر، وأيضا سميت الصلاة إيمانًا إذ هي من شعب الإيمان"[109].

المطلب الثالث: الجمع بين روايات أسباب النزول الواردة في الآية.

من منهج محمد رشيد رضا أنه قد يجمع بين الروايات المتعددة الواردة في آية معينة إذا أمكن الجمع بينها بما يتفق مع السياق القرآني.

التطبيق:

قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ ۚ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[البقرة: 187].

ذكر محمد رشيد رضا سببين لنزول هذه الآية؛ أحدهما عن معاذ بن جبل، والآخر عن عبد الله بن كعب بن مالك:

أما الأول: فعن معاذ بن جبل: "أن صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا، فإذا ناموا امتنعوا، قال: ثم إن رجلًا من الأنصار يقال له صرمة ظل يعمل صائمًا حتى أمسى، فجاء إلى أهله فصلى العشاء، ثم نام فلم يأكل ولم يشرب حتى أصبح، فأصبح صائمًا، قال: فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد جهد جهدًا شديدًا، قال: "ما لي أراك قد جهدت جهدًا شديدًا؟" قال: يا رسول الله، إني عملت أمس فجئت حين جئت، فألقيت نفسي فنمت، وأصبحت حين أصبحت صائمًا، قال: وكان عمر قد أصاب من النساء من جارية أو من حرة بعد ما نام، وأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فذكر ذلك له فأنزل الله: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ﴾ إلى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[البقرة: 187]"[110].

قال السيوطي بعد ذكر هذه الرواية: "هذا الحديث مشهور عن ابن أبي ليلى لكنه لم يسمع من معاذ وله شواهد منها حديث البخاري عن البراء"[111].

وهذه الشواهد التي أشار إليها السيوطي هي:

حديث البراء رضي الله عنه، قال: "كان أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم إذا كان الرجل صائمًا، فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن قيس بن صرمة الأنصاري كان صائمًا، فلما حضر الإفطار أتى امرأته، فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه، فجاءته امرأته، فلما رأته قالت: خيبةً لك، فلما انتصف النهار غُشي عليه، فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ ۚ﴾[البقرة: 187]"[112].

وحديث البراء أيضًا: "لمّا نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله: ﴿عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: 187]"[113].

أما السبب الثاني فما رواه ابن جرير عن عبد الله بن كعب بن مالك يحدث عن أبيه قال: "كان الناسُ في رمضان إذا صامَ الرجل فأمسَى فنام،

حُرِّم عليه الطعام والشراب والنساءُ حتى يفطر من الغد، فرجع عمر بن الخطاب من عند النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة وقد سَمَر عنده، فوجد امرأته قد نامت، فأرادها فقالت: إني قد نمت! فقال: ما نمت! ثم وقع بها، وصنع كعب بن مالك مثل ذلك، فغدا عمر بن الخطاب إلى النبي صلى الله عليه وسلم فأخبره، فأنزل الله تعالى: ﴿ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ﴾ [البقرة: 187]"[114].

قال محمد رشيد رضا عقب ذكر هذه الروايات:

"فأنت ترى في هذه الروايات اضطرابًا، ففي بعضها أنهم كانوا يرون مقاربة النساء محرمة في ليالي رمضان كأنهُرِه على الإطلاق، وفي الأخرى أنهم كانوا يعدونها كالأكل والشرب لا تحرم إلا بعد النوم في الليل"[115].

ثم ذهب إلى الجمع بين هذه الروايات لتدخل ضمن معنى السياق القرآني؛ فقال: "وأقرب ما يمكن أن يخرج عليه الجمع بين الروايتين اختلاف اجتهاد الصحابة في ذلك، بحمل كل رواية على طائفة، وإلا تعارضتا وسقط الاحتجاج بهما... وإن إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لهم على ذلك الاجتهاد كان جريًا على سنته في إجازة عمل كل أحد باجتهاده فيما يحتمل الاجتهاد من النصوص من غير إلزام لأحد به"[116].

وابن حجر يجمع بين هذه الروايات بعد ذكرها؛ فيقول: "إن الآية نزلت في الأمرين معا، وظاهر سياق حديث الباب أن الجماع كان ممنوعا في جميع الليل والنهار، بخلاف الأكل والشرب فكان مأذونا فيه ليلًا ما لم يحصل النوم، لكن بقية الأحاديث الواردة في هذا المعنى تدل على عدم الفرق –بين الأكل والجماع– فيحمل قوله:(كانوا لا يقربون النساء) على الغالب جمعا بين الأخبار"[117].

أما ابن عاشور فجمع بين هذه الأخبار بقريب من قول محمد رشيد رضا؛ فقال: "إن ما ذُكر من أسباب النزول فيها شيء من الاضطراب، ولكن يمكن القول: بأن مقصود الآية إبطال شيء توهمه المسلمون من أن الأكل والشرب في الليل لا يكون إلا في وقتين محددين هما وقت الإفطار ووقت السحور، فإذا صلوا العشاء لم يأكلوا إلا أكلة السحور، وكما كان هذا شأنهم في الطعام فقد كان ذات الأمر في الجماع، فجعلوا النوم مبدأ الإمساك الليلي، وظنوا أن النوم إن حصل في غير وقته المعتاد يعد مانعًا من الأكل والجماع إلى وقت السحور، وإن وقت السحور لا يباح فيه إلا الأكل دون الجماع؛ إذ كانوا يتأثمون من الإصباح في رمضان على جنابة، ولعل هذا قد سرى إليهم من أهل الكتاب، ولم يسألوا النبي عليه الصلاة والسلام عن ذلك، ولعل هذا الأمر لم يتجاوز بعض شهر رمضان من السنة التي شرع فيها الصيام، فحدثت هذه الحوادث المتقاربة ونزل القرآن لزيادة البيان؛ إذ علم الله ما ضيق به بعض المسلمين على أنفسهم وأوحى به إلى رسوله صلى الله عليه وسلم....."[118]. وجاء في الناسخ والمنسوخ: "أن هذه الآية ناسخة لما كان من قبل، إذ أنه في أول

شريعة محمد صلى الله عليه وسلم كان الصوم عبارة عن الإمساك عن المفطرات نهارًا، ولا يقرب شيئًا منها بعد النوم ولا بعد صلاة العشاء الآخرة، فإذا فعل شيئا منها بعد النوم أو بعد صلاة العشاء فقد ارتكب محرّمًا، ونسخ الله هذا الحكم بهذه الآية"[119]، "وأن هذا الأمر كان عند النصارى قبل المسلمين، ولم يزل المسلمون كذلك يصنعون مثلهم حتى جاءت هذه الآية ناسخة لما كان سابقًا"[120]، وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ ﴾ [البقرة:183]

ومثله أيضًا:

قوله تعالى: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾ [آل عمران: 128]

ذكر محمد رشيد رضا ثلاثة أسباب لنزول الآية:

الأول: ما جاء في الصحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنه: "أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول في صلاة الفجر ورفع رأسه من الركوع قال: "اللهم ربنا لك الحمد في الأخيرة" ثم قال: "اللهم العن فلانًا وفلانًا"، فأنزل الله: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ [آل عمران: 128]"[121].

وهو عند الترمذي أيضًا لكن مع تحديد أسماء معينة؛ إذ روى عن ابن عمر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد: "اللهم العن أبا سفيان، اللهم العن الحارث بن هشام، اللهم العن صفوان بن أمية"، قال: فنزلت: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ ﴾ [آل عمران: 128]، فتاب الله عليهم، فأسلموا فحسن إسلامهم"[122].

الثاني: ما جاء في الصحيح أيضًا عن أبي هريرة رضي الله عنه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد، قنت بعد الركوع فربما قال: إذا قال: "سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد، اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها سنين كسني يوسف" يجهر بذلك، وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: "اللهم العن فلانًا وفلانًا، لأحياء من العرب حتى أنزل الله: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ ﴾[آل عمران: 128]"[123].

الثالث: ما جاء في الصحيح كذلك عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كُسرت رباعيته يوم أحد، وشُج في رأسه، فجعل يسلت الدم عنه، ويقول: "كيف يفلح قوم شجوا نبيهم، وكسروا رباعيته، وهو يدعوهم إلى الله؟، فأنزل الله: ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ ﴾[آل عمران: 128]"[124].

هذه الأسباب منها ما يفيد أن الآية نزلت يوم أحد بعدما جرى للرسول عليه الصلاة والسلام ما جرى، ومنها ما يفيد أن الآية نزلت بعد دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام على أناس وأحياء من العرب لكن من غير تقييد بغزوة أحد.

وقد جمع محمد رشيد رضا بين هذه الأسباب فقال: "ولا تنافي بين حديث ابن عمر وحديث

أنس؛ لأن الجمع بينهما ظاهر، وهو أنه قال ما قال فيهم حين أدموه، ثم لعن رؤساءهم فنزلت الآية عقب ذلك كله"[125].

وابن حجر رجح بين هذه الروايات في موضع فقال: "والصواب أنها نزلت في شأن الذين دعا عليهم بسبب قصة أحد والله أعلم"[126].

وجمع بين هذه الروايات في موضع آخر؛ فقال: "وطريق الجمع بينه- حديث أنس- وبين حديث ابن عمر أنه صلى الله عليه وسلم دعا على المذكورين بعد ذلك في صلاته فنزلت الآية في الأمرين معًا، فيما وقع له من الأمر المذكور وفيما نشأ عنه من الدعاء عليهم"[127].

ورجح صاحب المحرر في أسباب النزول: "أن سبب نزول هذه الآية هو حديث أنس رضي الله عنه في شأن غزوة أحد بعد الذي جرى للرسول عليه الصلاة والسلام، وأن حديث ابن عمر الذي فيه الدعاء على أناس معينين ليس له صلة بغزوة أحد، بل كان ذلك في مناسبة أخرى، وأن ذكر القصة مع آية آل عمران لا تدل على نزولها في أُحد، وإنما كان ذلك اجتهادًا من ابن عمر وظنه أنها نزلت في أُحد، يضاف إلى ذلك أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان ينهى عن الفحش واللعن فكيف يفعل ما نهى عنه؟، وأيضًا أن في لعنه هؤلاء انتقامًا لنفسه ولم يثبت في سيرته عليه الصلاة والسلام أنه انتقم من أحد لنفسه"[128].

المطلب الرابع: الترجيح بين روايات أسباب النزول الواردة في الآية.

كان من منهج محمد رشيد رضا في الروايات المتعددة أنه يرجح بينها؛ فيقدم إحداها على الأخرى بما يظهر له من القرائن والأوجه التي تؤيد أحد الأسباب على غيرها، وبما يراه متفقًا مع السياق القرآني.

التطبيق:

قال تعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ﴾[التوبة: 19]

ذكر محمد رشيد رضا أربعة أسباب لنزول هذه الآية:

الأول: ما جاء في الصحيح عن النعمان بن بشير، قال: "كنت عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رجل: ما أبالي أن لا أعمل عملًا بعد الإسلام إلا أن أسقي الحاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملًا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر، وقال: لا ترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوم الجمعة، ولكن إذا صليت الجمعة دخلت فاستفتيته فيما اختلفتم فيه، فأنزل الله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾[التوبة: 19]"[129].

الثاني: ما رواه ابن جرير بسنده عن محمد بن كعب القرظي يقول: "افتخر طلحة بن شيبة من

بني عبد الدار، وعباس بن عبد المطلب، وعلي بن أبي طالب، فقال طلحة: أنا صاحب البيت معي مفتاحه، لو أشاء بِتُّ فيه! وقال عباس: أنا صاحب السقاية والقائم عليها، ولو أشاء بِتُّ في المسجد! وقال علي: ما أدري ما تقولان، لقد صليت إلى القبلة ستة أشهر قبل الناس، وأنا صاحب الجهاد! فأنزل الله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ الآية كلها"[130].

الثالث: ذكر محمد رشيد رضا أن هناك سببًا آخر لنزول الآية رواه ابن أبي حاتم في تفسيره، وبعد الرجوع إلى المصدر المشار إليه لم أجد في الرواية إشارة إلى كونها سببًا في النزول.

ونص الرواية عند ابن ابي حاتم:

"عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾[التوبة: 19]، قال العباس بن عبد المطلب حين أُسِر يوم بدر: لئن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد لقد كنا نعمر المسجد الحرام ونسقي الحاج ونفك العاني، قال الله تبارك وتعالى: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ﴾[التوبة: 19]"[131].

الرابع: أورد محمد رشيد رضا سببًا رابعًا عزاه إلى الفريابي عن ابن سيرين، ولم أقف عليه في مؤلفات الفريابي، ووجدته عند السيوطي قال: "وذُكِر أن ابن سيرين قال: قَدِم علي بن أبي طالب مكة فقال للعباس: أي عم ألا تهاجر، ألا تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أعمر المسجد وأحجب البيت، فأنزل الله: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾[التوبة: 19]الآية."[132].

وبعد ذكر هذه الروايات قال محمد رشيد رضا مرجحًا بينها: "فهذه الروايات في أسباب النزول وقائع في تفسير الآيات وإن لم تكن أسبابًا، والمعتمد من هذه الروايات حديث النعمان؛ لصحة سنده، وموافقة متنه لما دلت عليه الآيات من كون موضوعها في المفاضلة أو المساواة بين خدمة البيت وحُجَاجه، وبين الإيمان والجهاد بالمال والنفس والهجرة وهي أشق العبادات النفسية البدنية المالية، والآيات تتضمن الرد عليها كلها"[133].

رجح محمد رشيد رضا رواية النعمان بن بشير بوجهي ترجيح: صحة السند، وموافقة الرواية لسياق الآية وموضوعها، إذ تحدثت الآية بأنه لا وجه للمقارنة بين سقاية الحاج وخدمة البيت، وبين الإيمان بالله والجهاد في سبيله.

قال الألباني بعد ذكره بعض هذه الروايات: "وفي نزول الآية روايات أخرى؛ تراها عند ابن جرير وابن كثير والسيوطي، وأصحها ما رواه مسلم وغيره من حديث النعمان بن بشير"[134].

وقال ابن عاشور: "ظاهر هذه الآية يقتضي أنها خطاب لقوم سووا بين سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام، وبين الجهاد والهجرة، في أن كل ذلك من عمل البر، ثم قال: وأحسن ما روي في سبب نزول هذه الآية...وذكر حديث النعمان"[135].

ومثله أيضًا:

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْاْ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴾ [التوبة: 58]

ذكر محمد رشيد رضا ثلاثة أسباب لنزول هذه الآية:

الأول: ما جاء في الصحيح عن أبي سعيد، قال: "بينا النبي صلى الله عليه وسلم يقسم، جاء عبدالله بن ذي الخويصرة التميمي، فقال: اعدل يا رسول الله، فقال: "ويلك، ومن يعدل إذا لم أعدل" قال عمر بن الخطاب: دعني أضرب عنقه، قال: "دعه، فإن له أصحابًا، يحقر أحدكم صلاته مع صلاته، وصيامه مع صيامه، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر في قذذه[136] فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في رصافه[137] فلا يوجد فيه شيء، ثم ينظر في نضيه[138]؛ فلا يوجد فيه شيء، قد سبق الفرث والدم، آيتهم رجل إحدى يديه، أوقال: ثديه، مثل ثدي المرأة، أوقال: مثل البضعة تدردر[139]، يخرجون على حين فرقة من الناس" قال أبو سعيد: أشهد سمعت من النبي صلى الله عليه وسلم، وأشهد أن عليًا، قتلهم، وأنا معه، جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي صلى الله عليه وسلم، قال: فنزلت فيه: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾ [التوبة: 58]"[140].

الثاني: ما أورده السيوطي وعزاه إلى ابن مردويه عن ابن مسعود قال: "لما قسم النبي صلى الله عليه وسلم غنائم حنين سمعت رجلًا يقول: إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك، فقال: "رحمة الله على موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر ونزل: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ ﴾[التوبة: 58]"[141].

الثالث: ما رواه ابن جرير عن داود بن أبي عاصم قال: "أُتي النبي صلى الله عليه وسلم بصدقة فقسمها ههنا وههنا حتى ذهبت، قال: ورآه رجل من الأنصار فقال: ما هذا بالعدل؟ فنزلت هذه الآية: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ ﴾[التوبة: 58] [142].

رجح محمد رشيد رضا بعد ذكر هذه الروايات أن سبب نزول الآية قسمة الصدقات، لا قسمة غنائم حنين؛ بدليل سياق الآية نفسها؛ فقال: "وقد تقدم في الكلام على غزوة حنين من هذا الجزء سبب حرمان النبي صلى الله عليه وسلم الأنصار من غنائم هوازن، ومن استاء منهم ومن تكلم، وإرضاء النبي صلى الله عليه وسلم لهم، ولكن الآية نص في قسمة الصدقات، فجعل الغنائم سببا لنزولها من جملة تساهلهم فيما يسمونه أسباب النزول"[143].

وقال البغوي: "الآية نزلت في ذي الخويصرة واسمه حرقوص بن زهير أصل الخوارج"[144].

وجاء في المحرر في أسباب النزول: "أن الحديث المذكور –حديث أبي سعيد في قصة ذي الخويصرة– سبب نزول الآية الكريمة لصحة إسناده، وموافقته لسياق القرآن، واحتجاج المفسرين به والله أعلم"[145].

الخاتمة:

بعد هذا العرض الموجز لحياة محمد رشيد رضا، ولشيء من مقدمات أسباب النزول فيما يتعلق بتعريفها وصيغها وطرائق معرفتها وأقسامها، وبعد عرض مقتضب لمنهج محمد رشيد رضا في التعامل مع روايات أسباب النزول المتعددة في الآية الواحدة أو المجموعة من الآيات، يمكن أن نستنتج ما يأتي:

1. أن أسباب النزول على جانب مهم في تفسير القرآن، ولا يمكن الاستغناء عن الصحيح منها في بيان معاني وأحكام القرآن الكريم.
2. وضع العلماء شروطًا لقبول روايات أسباب النزول بغرض تمييز صحيحها من ضعيفها، ومعرفة ما يعد من قبيل الأسباب، وما يعد منها من قبيل تفسير الآيات وبيان الأحكام.
3. لم يلتفت محمد رشيد رضا كثيرًا إلى مدى صحة الروايات وصيغها الواردة بها، وكان جل اهتمامه منصبًا على مدى توافقها مع السياق القرآني؛ إذ جعل السياق غالبًا معيارًا لقبول روايات أسباب النزول والترجيح بينها.
4. تبين أن منهج محمد رشيد رضا في تعامله مع أسباب النزول المتعددة، يتمثل في أربعة أمور: قبول جميع الروايات من غير بحث في صيغها وصحة نقلها أحيانًا في حال اتفاق أسباب النزول مع السياق القرآني، أو الجمع بين ما يظهر تعارضها بما يوافق السياق القرآني، أو الترجيح بين الروايات في حال وُجد وجه من وجوه الترجيح مع مراعاة اتفاق الرواية الراجحة مع السياق القرآني، أو عدم الاعتداد بأسباب النزول معتبرًا أن السياق واضح بنفسه من غير احتياج إلى معرفة سبب النزول.

الهوامش:

(1) السيد محمد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة، شكيب أرسلان، ص631. الأعلام، الزركلي 126/6.

(2) ينظر: مجلة المنار، فاتحة السنة العاشرة، محمد رشيد رضا، محرم 1325هـ - 1907م، 1/10.

(3) المنار والأزهر، محمد رشيد رضا، ص133، السيد محمد رشيد رضا، شكيب أرسلان، ص10، الأعلام، الزركلي، 126/6.

(4) ينظر: المنار والأزهر، محمد رشيد رضا، ص133-134.

(5) ينظر: محمد رشيد رضا صاحب المنار، أحمد الشرباصي، ص112.

(6) ينظر: المنار والأزهر، محمد رشيد رضا، ص10، محمد رشيد رضا الإمام المجاهد، إبراهيم العدوي، ص19.

(7) ينظر: المنار والأزهر، محمد رشيد رضا، ص139-145، محمد رشيد رضا الإمام المجاهد، إبراهيم العدوي، ص23-24.

(8) ينظر: تفسير المنار، محمد رشيد رضا، 12/1.

(9) ينظر: المنار والأزهر، محمد رشيد رضا، ص141، الأعلام، الزركلي، 258/2.

(10) ينظر: المصدر نفسه ص142، الأعلام، الزركلي، 185/7.

(11) ينظر: المصدر نفسه، ص191، الأعلام، الزركلي، 168/6.

(12) ينظر: محمد رشيد رضا صاحب المنار، الشرباصي، ص253، الأعلام، الزركلي، 252/6.

(13) ينظر: مجلة المنار، السيد الإمام محمد رشيد رضا ناظر دار الدعوة والإرشاد، عبد الرحمن عاصم، جمادى الآخرة، 1359هـ، 705/35 الأعلام، الزركلي، 11/4.

(14) ينظر: مجلة المنار، السيد الإمام محمد رشيد رضا ناظر دار الدعوة والإرشاد، عبد الرحمن عاصم، جمادى الآخرة 1359هـ، 705/35، الأعلام، الزركلي، 45/6.

(15) ينظر: الشيخ محمد رشيد رضا السلفي المصلح، محمد السلمان، ص112، الأعلام، الزركلي، 253/8.

(16) ينظر: محمد رشيد رضا الإمام المجاهد، إبراهيم العدوي، ص223 وما بعدها.

(17) ينظر: السيد محمد رشيد رضا، شكيب أرسلان، ص124- 125.

(18) الشيخ محمد رشيد رضا السلفي المصلح، محمد السلمان، ص149.

(19) ينظر: مجلة المنار، التربية ووجه الحاجة إليها، محمد رشيد رضا، شعبان1330هـ، 567/15.

(20) ينظر: محمد رشيد رضا وإصلاحاته الاجتماعية والدينية، محمد أحمد درنيقة، ص41.

(21) ينظر: مجلة المنار، المتفرنجون والإصلاح الإسلامي، محمد رشيد رضا، شعبان، 1336هـ، 240/20.

(22) ينظر: مجلة المنار، الجيوش الغربية في الفتوحات الشرقية، محمد رشيد رضا، صفر، 1316هـ،299/1.

(23) ينظر: مجلة المنار، التربية ووجه الحاجة إليها، محمد رشيد رضا، شعبان، 1330هـ، 567/15.

(24) ينظر: من أعلام التربية العربية الإسلامية، اصدارات مكتب التربية لدول الخليج، 337/4.

(25) ينظر: المنار والأزهر، محمد رشيد رضا، ص177.

(26) ينظر: محمد رشيد رضا الإمام المجاهد، إبراهيم العدوي، ص174 وما بعدها.

(27) ينظر: المنار والأزهر، محمد رشيد رضا، ص201 وما بعدها.

(28) ينظر: المنار والأزهر، محمد رشيد رضا، ص180-191، السيد محمد رشيد رضا، شكيب أرسلان، ص586-591، محمد رشيد رضا طود وإصلاح دعوة وداعية، خالد حمزة، ص39-41.

(29) المنار والأزهر، محمد رشيد رضا، ص190،184، 191.

(30) محمد رشيد رضا، شكيب أرسلان، ص14-15.

(31) محمد رشيد رضا الإمام المجاهد، إبراهيم العدوي، ص281-282 محمد رشيد رضا صاحب المنار، الشرباصي، ص213-214.

(32) تفسير المنار، 3/1.

(33) ينظر: الإسلام والتجديد في مصر، تشارلز آدمس، ص189.

(34) التفسير والمفسرون، الذهبي، 423/2.

(35) المصدر نفسه، 425/2.

(36) تفسير المنار، 16/1.

(37) التفسير والمفسرون، الذهبي، 425/2.

(38) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ابن جرير الطبري، 384/10.

(39) مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: (نهج)، 361/5.

(40) لسان العرب، ابن منظور، (مادة:(نهج)، 383/2.

(41) العين، الخليل الفراهيدي، مادة: (نهج)، 392/3.

(42) القاموس المحيط، الفيروزآبادى، مادة(نهج)، ص:208.

(43) جمهرة اللغة، ابن دريد الأزدي، مادة:(نهج)، 498/1.

(44) المعجم الوسيط، أحمد مصطفى وآخرون، مادة: (نهج)، 957/2.

(45) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص317.

(46) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، 117/3.

(47) الكليات، الكفوي، ص913.

(48) العين، الفراهيدي، مادة: (سب)، 203/7- 204.

(49) لسان العرب، ابن منظور مادة:(سبب)،1/458-459.

(50) الكليات، الكفوي، ص495.

(51) مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة:(نزل)، 5/417.

(52) القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة: (النزول)، ص1062.

(53) التوقيف على مهمات التعاريف، المناوي، ص323.

(54) الكليات، الكفوي، ص196.

(55) الإتقان في علوم القرآن، السيوطي1/116

(56) مناهل العرفان في علوم القرآن، الزُّرْقاني، 1/106.

(57) تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح الخالدي، ص17-18.

(58) أسباب نزول القرآن، الواحدي، ص8.

(59) إحكام الإحكام، ابن دقيق العيد، 2/259.

(60) دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد الرومي،1/107.

(61) أسباب النزول، ص8.

(62) دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، ص138.

(63) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، الزُّرْقاني، 1/114-115، دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، 139-140.

(64) الصحابي: من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مسلمًا، ومات على إسلامه. ينظر: تدريب الراوي، السيوطي، 2/667.

(65) المرفوع: ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم خاصة، لا يقع مطلقه على غيره، وهو ما أخبر به الصحابي عن فعل النبي صلى الله عليه وسلم أو قوله. ينظر: تدريب الراوي، السيوطي، 1/202.

(66) التابعي: قيل: هو من صحب الصحابي، وقيل: من لقيه، وهو الأظهر. ينظر: تدريب الراوي، السيوطي، 2/699.

(67) المرسل: هو قول التابعي الكبير قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كذا، بمعنى سقط من سنده الصحابي. ينظر: تدريب الراوي، السيوطي، 1/219.

(68) مناهل العرفان، الزرقاني، 1/106.

(69) دراسات في علوم القرآن، فهد الرومي، ص137-138.

(70) أسباب النزول، الواحدي، ص449.

(71) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجمعة، باب إذا نفر الناس عن الإمام في صلاة الجمعة، حديث رقم [935]، 2/13.

(72) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب: ذكر شرار الموتى، حديث رقم [1394]، 2/104.

(73) ينظر: مناهل العرفان، الزرقاني، 1/114-115، مباحث في علوم القرآن، القطان، ص85.

(74) مجموع الفتاوى، ابن تيمية، 13/339.

(75) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب: إذا أشار الإمام بالصلح فأبى حكم عليه بالحكم البين، حديث رقم [2708]، 3/187.

(76) ينظر: الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، 1/121.

(77) قواعد التفسير جمعًا ودراسة، خالد السبت، 1/69.

(78) أخرجه الحاكم في مستدركه، كتاب النكاح، حديث رقم [2701]، 2/180، حكم الحديث: صحيح، ينظر: إرواء الغليل، الألباني، 6/279.

(79) أَجْيَادٌ: ويقال في اسمه جياد، وهو موضع بمكة المكرمة مما يلي الصفا، وهما أجيادان: أجياد الكبير وأجياد الصغير؛ وقيل في سبب تسميته بهذا الاسم: أنه مكان خروج الخيل الجياد منه، وقيل: إن تُبَّعًا لمّا قدم مكة ربط خيله فيه، وقيل: إنه الموضع التي كانت به الخيل التي سخرها الله لإسماعيل عليه السلام. ينظر: معجم البلدان، ياقوت الحموي، 1/105-106.

(80) أخرجه النسائي في سننه، كتاب التفسير، قوله تعالى: {والزانية لا ينكحها إلا زانٍ أو مشرك}، حديث رقم

[11295]، 10 /197، حكم الحديث: صحيح، الإسناد، ينظر: ارواء الغليل، الألباني، 297/6.

(81) تفسير المنار، 277/2.

(82) جامع البيان، 101/19.

(83) ينظر: التحرير والتنوير، 153/1-156، 223/18.

(84) ينظر: جامع البيان، 98/19.

(85) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، 163/4.

(86) إعلام الموقعين، 261/4.

(87) إغاثة اللهفان، ابن قيم الجوزية، 66/1.

(88) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب: سؤال الحاكم المدعى عليه هل لك بينة، حديث رقم [2666]، 177/3.

(89) المصدر نفسه، كتاب: تفسير القرآن، باب: {ان الذين يشترون بعهد الله ثمنًا قليلًا}، حديث رقم [4551]، 34/6.

(90) جامع البيان، 528/6-529. حكم الحديث: ضعيف الإسناد وهو مرسل، ينظر: أسباب النزول الواردة في كتاب جامع البيان لابن جرير الطبري جمعًا وتخريجًا ودراسة، حسن بن محمد شباله البلوط، 309/1.

(91) فتح الباري، ابن حجر العسقلاني، 213/8.

(92) تفسير المنار، 281/3.

(93) ينظر: الصحيح المسند من أسباب النزول، الوادعي، ص45.

(94) ينظر: قوله في عدة مواضع في تفسير المنار: 2 /133، 374/5، 191/5 وغيرها.

(95) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب: فضل الشهادة، حديث رقم [2520]، 15/3. حكم الحديث: قال الألباني: حديث حسن، ينظر: صحيح أبي داود، 179/7، وقال الوادعي: صحيح لغيره، ينظر: الصحيح المسند من أسباب النزول، ص55.

(96) أخرجه الترمذي في سننه، أبوب تفسير القرآن الكريم، باب: ومن سورة آل عمران، حديث رقم [3010]، 230/5. حكم الحديث: حسن، ينظر: صحيح سنن الترمذي، الألباني، 3/ 210.

(97) المأفون: الضعيف الرأي والعقل، والمتمدح بما ليس عنده. ينظر: القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة: (أفن)، ص1176.

(98) تفسير المنار، 191/4.

(99) المصدر نفسه، 191/4.

(100) الجامع لأحكام القرآن، 269/4.

(101) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من التفسير، 459/1.

(102) تفسير المنار، 2 / 9.

(103) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيمان، باب: الصلاة من الإيمان، حديث رقم [40] 17/1.

(104) جامع البيان، 3 / 168. حكم الحديث: اسناده ضعيف والخبر معضل، ينظر اسباب النزول الواردة في جامع البيان لابن جرير الطبري، شباله، 127/1.

(105) تفسير المنار، 9/2.

(106) المصدر نفسه، 10/2.

(107) تفسير القرآن العظيم، 1 / 329.

(108) معالم التنزيل في تفسير القرآن، 1 / 177.

(109) المحرر الوجيز، 221/1.

(110) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، مسند الأنصار، حديث معاذ بن جبل، حديث رقم [22124] 439/36، حكم الحديث: ضعيف، ينظر: الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم الهلالي ومحمد آل نصر، 107/1.

(111) لباب النقول، السيوطي، ص23.

(112) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب قوله تعالى: {أحل لكم ليلة الصيام ...}، حديث رقم [1915]، 28/3.

(113) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب {أحل لكم ليلة الصيام}، حديث رقم [4508]25/6.

[114] جامع البيان، 3/ 496-497. حكم الحديث: صحيح لغيره، ينظر: اسباب النزول الواردة في جامع البيان لابن جرير الطبري، شباله، حاشية: 165/1.

[115] تفسير المنار، 141/2.

[116] المصدر نفسه، 141/2.

[117] فتح الباري، 181/8-182.

[118] التحرير والتنوير، 180/2-182

[119] تفسير آيات الأحكام، السايس، ص86-87.

[120] قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، مرعي بن يوسف الحنبلي، ص60.

[121] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قوله تعالى: {ليس لك من الأمر شيء}، حديث رقم [7346]، 106/9.

[122] أخرجه الترمذي في سننه، أبواب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة آل عمران، حديث رقم [3004]، 227/5. حكم الحديث: صحيح، ينظر: صحيح سنن الترمذي، الألباني، 205/3.

[123] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: {ليس لك من الأمر شيء}، حديث رقم [4560]، 38/6.

[124] أخرجه مسلم، كتاب: الجهاد والسير، باب: غزوة أحد حديث رقم [1791]، 1417/3.

[125] تفسير المنار، 97/4.

[126] فتح الباري، 7 / 366.

[127] المصدر نفسه، 227/8.

[128] المحرر في أسباب النزول، خالد المزيني، 322/1-323.

[129] أخرجه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضل الشهادة في سبيل الله، حديث رقم [1879]، 1499/3.

[130] جامع البيان، 171/14. حكم الحديث: ضعيف، ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة، الألباني، 699/10.

[131] تفسير القرآن العظيم،6 / 1768. حكم الحديث: حسن الإسناد، ينظر: أسباب النزول الواردة في جامع البيان لابن جرير الطبري، شباله، 703/2.

[132] لباب النقول، ص103.

[133] تفسير المنار، 195/10.

[134] سلسلة الأحاديث الضعيفة، 600/10.

[135] التحرير والتنوير، 10/ 142-143.

[136] القذة: ريش السهم، وجمعها: قذذ وقذاذ، لسان العرب، ابن منظور، مادة:(قذذ)،3 / 503.

[137] الرصفة: عقبة تلوى على موضع الفوق من الوتر، وعلى أصل نصل السهم. العين، الفراهيدي، مادة: (رصف)، 7 / 111.

[138] نضي السهم: هو العود قبل أن يراش وينصل. جمهرة اللغة، ابن دريد الأزدي، مادة: (ضني)، 2/ 913.

[139] البضعة: قطعة من اللحم مجتمعة، وتدردرت اللحمة: اضطربت. مقاييس اللغة، ابن فارس، مادة: (بضع)، 255/1، القاموس المحيط، الفيروزآبادي، مادة:(الدر). ص391.

[140] أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: استتابة المرتدين، باب: من ترك قتال الخوارج للتألف وأن لا ينفر الناس عنه، حديث رقم [6933]، 17/9.

[141] الدر المنثور في التفسير بالمأثور، 4 / 220.

[142] جامع البيان، 14 / 302، حكم الحديث: في إسناده ضعف والخبر مرسل، ينظر: أسباب النزول الواردة في جامع البيان لابن جرير الطبري، شباله، حاشية:712/2.

[143] تفسير المنار، 10 / 421.

[144] معالم التنزيل، 358/2.

[145] المحرر في أسباب النزول، المزيني، 591/1.

المصادر والمراجع:

1. القرآن الكريم.

2. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1394هـ/ 1974م.
3. إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، محمد بن علي بن وهب ابن دقيق العيد (ت/702هـ)، مطبعة السنة المحمدية، د.ط، د.ت.
4. إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني (ت: 1420هـ)، المكتب الإسلامي، بيروت، ط2، 1405 هـ – 1985م.
5. أسباب النزول الواردة في كتاب جامع البيان لابن جرير الطبري جمعًا وتخريجًا ودراسة، حسن بن محمد علي شباله البلوط، رسالة دكتوراه، قسم الكتاب والسنة، كلية أصول الدين، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 1419هـ.
6. أسباب نزول القرآن، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد الواحدي(ت:468هـ)، تحقيق: عصام الحميدان، دار الإصلاح، الدمام، ط2، 1412هـ – 1992م.
7. الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي ومحمد بن موسى آل نصر، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط1، ١٤٢٥ هـ
8. الإسلام والتجديد في مصر، تشارلز آدمس، ترجمة: عباس محمود، إصدارات المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، 2015م.
9. إعلام الموقعين عن رب العالمين، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ – 1991م.
10. الأعلام، خير الدين الزركلي (ت:1396هـ)، دار العلم للملايين، ط15، 2002.
11. إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية (ت: 751هـ)، تحقيق: محمد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، د.ط، د.ت.
12. تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت: 463هـ)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1422هـ – 2002م.
13. التحرير والتنوير= تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن عاشور التونسي (ت: 1393هـ)، الدار التونسية، تونس،1984هـ.
14. تدريب الراوي في شرح تقريب النووي، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي

(ت: 911هـ)، تحقيق: أبو قتيبة نظر محمد، دار طيبة، د.ط، د.ت.

15. تعريف الدارسين بمناهج المفسرين، صلاح عبد الفتاح الخالدي، درا القلم، دمشق، سوريا، ط3، 1429هـ-2008م.

16. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (ت: 774هـ)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1419،1هـ.

17. تفسير القرآن العظيم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد الرازي ابن أبي حاتم (ت: 327هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط3، 1419هـ.

18. تفسير المنار، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب،1990م.

19. تفسير آيات الأحكام، محمد علي السايس، تحقيق: ناجي سويدان، المكتبة العصرية، 2002م.

20. التفسير والمفسرون، محمد السيد حسين الذهبي (ت1398هـ)، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، د.ط، د.ت.

21. التوقيف على مهمات التعاريف، زين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن تاج العارفين المناوي (ت: 1031هـ)، عالم الكتب، القاهرة، ط: 1، 1410هـ - 1990م.

22. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الآملي، أبو جعفر الطبري(ت: 310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ - 2000م.

23. الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت: 671هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ - 1964م.

24. جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (ت: 321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط: 1، 1987م.

25. الدر المنثور في التفسير بالمأثور، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: 91هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.

26. دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن الرومي، ط:12، 1424هـ - 2003م.

27. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، (ت: 1420هـ)، دار المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1412هـ - 1992م.

28. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي السِّجِسْتاني (ت: 275هـ)،

تحقيق: محمد محيي الدين، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د.ط، د.ت.

29. سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (ت: 279هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرين، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط 2، 1395هـ - 1975م.

30. السنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (ت: 303هـ) تحقيق: حسن شلبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1421 هـ-2001م.

31. السيد محمد رشيد رضا أو إخاء أربعين سنة، شكيب أرسلان، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، 2006م.

32. الشيخ محمد رشيد رضا السلفي المصلح، محمد بن عبد الله السلمان، منشورات جامعة الإمام محمد بن سعود، المملكة العربية السعودية، 1414هـ- 1993م.

33. صحيح البخاري = الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، تحقيق: محمد زهير الناصر، دار طوق النجاة، ط1، 1422هـ.

34. الصحيح المسند من أسباب النزول، مقبل بن هادي بن مقبل الوادعي (ت: 1422هـ)، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ط4، 1408هـ- 1987م.

35. صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط1، 1430هـ - 2000م.

36. صحيح مسلم = المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري

37. (ت: 261هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ط، د.ت.

38. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت: 170هـ) تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت.

39. فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان، 1379هـ.

40. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية في التفسير، محمد بن علي بن الشوكاني (ت: 1250هـ)، دار ابن كثير، دمشق، ط:1، 1414 هـ.

41. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: 817هـ)، تحقيق: مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط:8، 1426هـ - 2005م.

42.قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن، مرعي بن يوسف بن أبي بكر بن أحمد المقدسي (ت: 1033هـ)، تحقيق: سامي عطا، دار القرآن الكريم، الكويت، د.ط، د.ت.
43.قواعد التفسير جمعًا ودراسة، خالد بن عثمان السبت، دار ابن عفان، ط1، 1421هـ.
44.الكليات، أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، أبو البقاء الحنفي (ت: 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:2، 1419هـ - 1998م.
45.لباب النقول في أسباب النزول، عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي (ت: 911هـ)، ضبط وتصحيح: أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، د.ط، د.ت.
46.لسان العرب، محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور (ت: 711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3،1414هـ.
47.مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (ت: 1420هـ)، مكتبة المعارف، ط3، 1421هـ- 2000م.
48.مجلة المنار، محمد رشيد رضا وآخرون، مطبعة المنار، القاهرة، مصر.
49.مجموع الفتاوى، تقي الدين أبو العباس أحمد
50.بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (ت: 728هـ)، تحقيق: عبد الرحمن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، 1416هـ/1995م.
51.المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز= تفسير ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية الأندلسي (ت: 542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1422 هـ.
52.المحرر في أسباب نزول القرآن من خلال الكتب التسعة، خالد بن سليمان المزيني، دار ابن الجوزي، الدمام، المملكة العربية السعودية، ط1427هـ -2006 م.
53.محمد رشيد رضا الإمام المجاهد، إبراهيم العدوي، المؤسسة المصرية العامة للكتاب، د.ط، د.ت.
54.محمد رشيد رضا صاحب المنار، أحمد الشرباصي، مطابع الأهرام، مصر، 1970م.
55.محمد رشيد رضا طود وإصلاح دعوة وداعية، خالد بن فوزي آل حمزة، دار علماء السلف، الاسكندرية، مصر، ط2، 1415هـ.
56.محمد رشيد رضا وإصلاحاته الاجتماعية والدينية، محمد أحمد درنيقة، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط1، 1406هـ - 1986م.
57.المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد النيسابوري (ت: 405هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر

عطـا، دار الكتـب العلميـة، بيـروت، ط:1، 1411هـ - 1990م.
58.المسند، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشـيباني (ت: 241هـ)، تحقيـق: شـعيب الأرنـؤوط وعـادل مرشـد وآخـرون، مؤسسـة الرسالة، ط1، 1421هـ - 2001م.
59.مشـاهير علمـاء الأمصـار وأعـلام فقهـاء الأقطار، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، أبو حاتم (ت: 354هـ)، تحقيق: مرزوق على ابـراهيم، دار الوفـاء، المنصـورة، ط1، 1411 هـ - 1991م.
60.معـالم التنزيـل فـي تفسـير القـرآن، أبـو محمـد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي (ت: 510هـ)، تحقيـق: عبـد الـرزاق المهـدي، دار إحيـاء التـراث العربـي، بيـروت، ط1، 1420 هـ.
61.معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت
62.بـن عبـد الله الرومـي الحمـوي (ت: 626هـ)، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.
63.المعجـم الوسـيط، أحمـد مصـطفى وآخـرون، مجمـع اللغـة العربيـة بالقـاهرة، دار الـدعوة، د.ط، د.ت.
64.مقـاييس اللـة، أحمـد بـن فـارس بـن زكريـا القزوينـي الـرازي، أبـو الحسين (ت: 395هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ - 1979م.
65.من أعلام التربية العربية الإسلامية، إصدارات مكتب التربية العربي لدول الخليج، 1409هـ 1989م.
66.المنـار والأزهـر، محمـد رشـيد رضـا، مطبعـة المنار، مصر، ط1، 1352هـ.
67.مناهل العرفـان فـي علـوم القرآن، محمـد عبـد العظـيم الزُّرْقـاني (ت: 1367هـ)، مطبعـة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط:3، د.ت.